الضيـــــاع في حفـــــر البـــــاطن

(الورقة السادسة)

-قبل العاصفة-

كتب / عبد الكريم العبيدي

> انحاز لبصري احيانا ، ادرك عجزه والتباساته ، واتابع تدهوره المفضوح في تلك العزلة التي اختارها بارادته ، وترك صحبتي.. مسكين هو ، لانه ما زال يعتقد بجدوى انضمامه الى الكائنات الليلية ، انه يحاول ان يزيح لعنة النهار عن نوبته التي لم يعثر فيها حتى الان الا على ذلك الاستلاب الذي ظن ، وهذا ما اريده منه ، انه رآه وحده.

عدا ذلك الضابط الخافر الذي "تفاهم" مع سائق الحافلة واخلى سبيله لم نر أي مسؤول آخر.. قيل لنا فيما بعد، اننا وصلنا الى مقر اللواء قبل انتهاء فترة الرسوم المتحركة، وهي الفترة المفضلة جدا والوحيدة للسيد الامر وضابط التوجيه السياسي.. وزعم بعضهم ان آمر اللواء لا يفرط بثانية منها الا بمكالمة مستعجلة جداً من القائد العام للقوات المسلحة!.. بينما بين آخرون ان الامر ورفيقه ليس سوى شخصيتين كارتونيتين لا تختلفان كثيرا عن "توم وجيري"..

مثل هذا الموجز من الخفايا، كثيرا ما كان ينتشر سريعا في الجيش، ولكنه وصلني على مقربة من مسامع "العمارتلي"، الامر الذي تطلب مني بذل المزيد من العناء لتوضيح تلك العلاقة الكارتونية لرجل ترك الهور قريبا والتحق الى الجيش.

كانت تلك الليلة الصحراوية الباردة هي اول رسالة رملية من ضياعنا.. وكان لا بد لها من ان تتميز في وحشيتها لتستقر في الذاكرة.

فبعدما انكرتنا الصحراء، ضاقت بنا السماء. صبت علينا دموعا غزيرة، فتفرقنا بايعاز كوني منها وليس بأمر من السيد "توم". هرعنا انا والعمارتلي باتجاه الملجأ، ونحن نلهث خلف اعداد كبيرة من الجنود، وحين وصلنا الى الباب فوجئنا بانه لم يعد يسع لنملة، كان الملجأ باردا جدا ورطبا وخاليا من كل شيء عدا كآبته.

تمكن العمارتلي من حشر جسده، بينما وقفت انا ارتجف قريبا منه.. صاح احد الجنود من داخل الملجأ: تقدموا قليلا، الا ترونه يغرق، اللعنة على العسكرية وعلى ذلها؟!

دخلت الى مقدمة الملجأ وجلست ارتعد. كان الظلام يفصح عن رؤوس واشباح لا حصر لها في ذلك الملجأ العابق برائحة الاجساد والانفاس والرطوبة الخانقة.. توقف المطر فجأة، المطر في صحراء حفر الباطن لا يخلو من رعونة. يهطل بكثافة من دون مقدمات، ثم ينقطع في وقت تظنه سيستمر حتى الصباح!

قال العمارتلي: لنبحث عن مكان آخر، فهززت رأسي موافقا وتبعته.

بدت اشارات تلك الليلة الموحشة تنذر بالمبيت في ملجأ جماعي للمرة الثانية، وهذا ما لم اعد اطيقه، ولذلك اقترحت على العمارتلي ان يبحث في السواتر الفرعية عن أي مخزن صغير او خندق للرمي، وكانت مشورتي موفقة على ما يبدو حيث عثر سريعا على مخزن صغير مليء بصواريخ الـ (RBG7وصناديق خشبية فارغة واخرى مليئة بالرصاص المذنب.

ظلت اضواء المصابيح اليدوية تتقافز فوق رؤوسنا، تصاحبها نداءات وجلة كان يطلقها الحرس لمعرفة سر الليل، وكنا نجيبهم بنوع من اللا مبالاة: صديق.. صديق.. ازاح العمارتلي عددا من الصناديق وتهيأت لكلينا زاوية ضيقة في اقصى المخزن، فحشرنا اجسادنا فيها ولذنا بالصمت.

كان لا بد لهذا الصمت من ان يمثل لونا من الوان النهايات، حالة من الاقرار بالالم، وبما آل اليه مصيرنا في ليلتين بائستين، وكان علينا ان نخضع دونما ممانعة لذلك الفرز الغريب الذي صنفنا سريعا الى ضحايا وفرض علينا الضياع في اهوال الصحراء.

ظل العمارتلي مطأطئ الرأس، يمسد شاربه باطراف اصابعة ويقلب ترجيعات عقيمة سرعان ما نفدت فلصق خده بالرمال واغمض عينيه.

بينما اراقبه طويلا وانتابتني مشاعر متناقضة وسريعة حول ذلك المخلوق الا هواري وطبيعته واحاديثه، ولكن عمق العزلة، واتساعها وفر لي نوعاً من السكينة وجعلني اقاوم البرد ورطوبة ارضية المخزن وضياعي، وكدت ان اتوصل الى عبث محض اعالج به كل احباطاتي لولا استيقاظ العمارتلي المتكرر لقضاء حاجته.

كان يحدق في وجهي فيتأكد انني ما زلت يقضا فيسألني ثم يجيب هو على سؤاله.

-بعدك كاعد؟!.. بوية نام، نام.. حسبتنه طويلة حيل... ثم يلف رأسه باليشماغ من جديد ويغص في نوبة من السعال الحاد وينام.

احيانا، كان يعود متذمرا من البرد، يلعن الشتاء ولياليه ثم يجلس قبالتي ويلف سيكارتين، يقدم لي واحدة، ويعلق اخرى بطرف فمه.

في تلك الليلة سألني عن عشيرتي، اولا، قال: انت من يا عمام؟ ثم سأل عن وضعي الاجتماعي والتحصيل الدراسي وعن مؤشرات متفرقة اخرى ختمها بسؤال مقتضب وماكر: خو انته مو من الرفاق؟!. لم ابادله في الاسئلة، ولم اكن بحاجة الى محاورته قدر رغبتي في تواجده، وما ان عرفت ان اسمه هو مالك حتى وجدتني اردد بهدوء ها، مالك الاشتر.

ومنذ تلك اللحظة باتت مفردة الاشتر تلخص كل مالك -العمارتلي- الاهواري- البدائي، بكوفيته ودشداشته ونعله.

مالك استأنس بكنيته الجديدة التي بدت غير غريبة عليه، قال: الاشتر جدنا، الاكبر، جد قبيلتنا ابتسمت له، قلت: آ آ، هز رأسه مؤيدا ومزهوا، ثم تثاءب. لم يكن لاي حوار بيننا ان يدوم طويلا، كانت ثمة تصدعات حادة تمانع في الاسترسال وتجبر شخصا مثله يحدس بفطرته المتوقدة حدود حواراته مفضلا الاكتفاء بمظاهر هويته وعزة نفسه، كان الاشتر يدرك ذلك جيدا ويظهره لي بنظراته الحادة وبردوده المقتضبة وبصمته.

فضلت ان ادعه ينام مرة اخرى، والتفت الى اقصى الساتر فلمحت نارا هادئة اوقدها احد افراد الحرس. زحفت على الرمال، وتسللت من بين صناديق العتاد الثقيلة ثم وقفت على قدمي وسرت باتجاهها. كانت ملابسي لا تزال مبللة، وكنت ارتعد من البرد، فاحسست ان النار هي التي تجذبني اليها. اقتربا من الحارس وحييته ثم احتظنت النار وكدت التصق بها، لم يأبه بي الحارس كثيرا ولكنه احس بارتعاشة جسدي فافسح لي قليلا وظل يراقبني ويدخن بصمت.

بدأ الدفء يتسرب الى جسدي فشعرت بخدر لذيذ افتقدته كثيرا وداهمني نعاس مؤجل منذ ليلتين ثقيلتين كدت اركن اليه لولا ما هالني في ذلك الفجر من مشهد الشروق الذي ما زال يذهلني حقا.لقد شاهدت قبالتي، وهلى خط مستقيم تماما، حافة دائرة دموية كبيرة جدا تتسلل من الرمال على شكل هلال مقلوب، ثم راحت ترتفع سريعا، فاكتملت جاذبية هيبتها الاخاذة، التي كانت تجدد لونها باستمرار، كانت تشبه قرصا دمويا قانيا في اول الامر، ثم توشحت باللون البرتقالي، فالاصفر، ثم نشرت الابيض الشفاف على رمال الصحراء، بعد ما سحرته بذلك الطيف المتسلل والمذهل من الالوان.

رباه.. هل هذه هي مدننا؟. لماذا اراها بهذا الحجم المذهل؟، انها تستيقظ امامي على خط مستقيم، انها تفزعني!

تنبه الجندي الحرس لانشغالي بالمشهد، فاقترب مني، قال: انت من الجنود الملتحقين الجدد، صح؟.. سترى الكثير من غرائب الصحراء.. ثم اضاف: مضى على وجودي هنا اكثر من شهر، رأيت العجائب.

وبعد فترة صمت قصيرة سألني مرة اخرى، هل تم تنسيبك في المقر؟ هززت رأسي نافيا، فقال وكأنه يجيب على سؤاله: التنسيب في المقرات ليس هينا، انه يتم اما بالواسطة او بالتوريق.. بالمسيح، دفعت خمسمئة دينار مقابل بقائي في حماية المقر.

حدقت في وجهه للمرة الاولى، قلت: هذا كثير، فرد علي: اهون من الحياة في الحجابات. ثم نظر الى ساعته واطلق صفيرا خفيفا، قال: لقد انتهت نوبة حراستي.. اسمع، سنفطر معا، انت ضيفي، لا بد انك جائع ثم ترك بندقيته الى جانبي وطأطأ برأسه ليتحاشى الاصطدام بحافة باب الملجأ.. سمعت بضعة حوارات متقطعة من داخل الملجأ فهمت منها انه يهم بإيقاظ الحرس البديل اطل ثانية وهو يحمل بيده صمونتين وعلبة معجون فارغة.

ملأ العلبة بالماء من زمزمية كان يحملها الى جانبه ثم وضعها قريبا من النار، قال، هذا كل ما نملك.

حيث بدأ الماء بالغليان، اخرج من جيبه كيسا صغيرا مملوءاً بورق الشاي ونفضه في العلبة.

شعرت بالحرج، ولاحظ هو ترددي، قلت هل لي ان ادعو صاحبي لمشاركتنا.

واين هو الان؟ سألني باستغراب فأجبته.

انه نائم بين صناديق العتاد!

صعقته الدهشة على ما يبدو فراح يتفحص ثيابي بامعان مردداً: أأفهم من ذلك انك قضيت الليلة الفائتة في حفرة العتاد مع زميلك؟ ثم اضاف: وبهذه الثياب المبللة؟!

حدقت في النار قليلا ثم نهضت وايقظت الاشتر.

تناولنا وجبة الفطور للمرة الاولى منذ ثلاثة ايام، واحتسينا الشاي بالتناوب من تلك العلبة التي احرقت شفاهنا، ثم بدأ الجنو بالانتشار في ساحة المقر وفجأة سمعنا احدهم يهتف: الملتحقون الجدد: إجمعْ.

قال الاشتر: لنقف في التجمع جنبا الى جنب، كي يقذفوا بنا في سرية واحدة فاجبته: اطمئن، سترافقني دائما.

بدأ رأس عرفاء سرية المقر بقراءة اسمائنا وتدوين الهاربين، ثم امرنا بالجلوس لحين وصول ضابط التوجيه السياسي، وراح يسألنا عن احتياجاتنا، ولكنه فوجئ بعشرات التساؤلات عن الملابس والافرشة والاجازات القصيرة وقلق العائلات والجوع والعطش، فلوّح بيده قائلاً: انهي، عندنا سلاح وعتاد وبس، وكل واحد يحتار بروحه.

وصل ضابط التوجيه، فأمرنا بالنهوض والاستعداد، وقال نائب الضابط: السيد النقيب سيلقي عليكم محاضرة، انتبهوا له.

ظل النقيب يراوح على قدميه اليمنى واليسرى ويرتعد وهو يتلو جملا استهلاكية قديمة، تحدث عن المؤامرات التي يحيكها، الاعداء ضد قطرنا المناضل، وعن المخططات الامبريالية والصهيونية وتخاذل القوى العربية الرجعية، ثم شرح لنا باسهاب ماذا تعني عودة الفرع الى الاصل وتلبية النداء في الثاني من آب، وفي ذروة انفعاله قال: ان الطريق لتحرير فلسطين يمر بالكويت اولا!.

في تلك اللحظة فوجئت بالاشتر وهو يهمس في اذني قائلا: كانوا يقولون لنا في الحرب السابقة قبل اعوام ان هذا الطريق يمر بايران اولا! فاجبته بهدوء واحسب انه لم يفقه شيئا من جوابي، ان اقتصار ذلك الطريق على غزو الدول الشقيقة والمجاورة يبقى هينا، فالخشية كل الخشية من ان يبدأ الطريق لتحرير فلسطين من جزر الملاوي!!.

آراء في قانون التقاعد الموحد رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٦

امين سر جمعية المتقاعدين :تأخر تنفيذ القانون لأنه كتب بطريقة غير مدروسة

بغداد / سها الشيخلي

امين سر جمعية المتقاعدين

ضرب كفا بكف.. لضياع اماله واحلامه! والتفت الى الموظفة يستنطقها وقد جالت في ذاكرته المتعبة العديد من الاسئلة. ثم قال بتبرم: هل من الصعب ان يصدر قانون سهل الفهم لا يحيطه الغموض والابهام. ؟! هل من المستحيل توحيد القوانين وشرحها بطريقة يفهما الجميع؟.

كان هذا لسان حال المعلم المتقاعد عباس مناجي جايد .. الذي قضى ٤٠ عاماً يعلم اطفال الاهوار كيف يمسكون القلم.!!

في دائرة التقاعد

لم يكن المعلم (ابو فاضل) المتسائل الوحيد عن القانون الجديد للمتقاعدين رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٦ والذي تاجل العمل به الى الاول من حزيران من هذا العام. بل كان هناك الكثيرون الذين ضاق بهم مبنى دائرة التقاعد العامة على سعته إلا انها والحق يقال كانت تحمل بعضاً من ملامحهم المتعبة وقاماتهم المحنية. فهي الاخرى محالة على التقاعد منذ زمن!.

كانت اسئلة السادة المتقاعدين متنوعة وعديدة منها ما يخص العسكريين والغالبية كانت للمدنيين.

نائب ضابط (ع.م) معوق حرب (العراقية ـ الايرانية) يسأل عن اية فقرة في القانون تطرقت الى معوقي الحرب.. ويجيب هو ايضاً.. ولا فقرة واحدة!!

ويتسأل كيف تهمل شريحة واسعة اعطت للوطن صحتها وعافيتها فكان جزاؤها الاهمال بغض النظر عن اسباب وملابسات كل حروب النظام السابق..!

المفوض المتقاعد (م.ر) يتساءل ايضاً.. لماذا لم يتطرق القانون الجديد الى جميع اصناف الشرطة. هل يعني ذلك ان هناك قانونا آخر سيشمل العسكريين (شرطة وجيشاً) ولماذا لا يوضح القانون المذكور ذلك.

رئيس الشعبة القانونية في احدى الوزارات المتقاعد جعفر صادق يعترض على القانون فيقول: جاء في الفصل الاول (الاحالة على التقاعد) الفقرة رابعاً (للوزير المختص او رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارته احالة الموظف غير المعين بمرسوم جمهوري او بأمر من مجلس الوزراء على التقاعد في احدى الحالتين الاتيتين:

الفقرة الثانية تقول: "اذا كان زائدا على الملاك او بسبب تنسيق الملاك وانهاء وظيفته".

انها تعني اطلاق يد الوزير بالعبث بنظام الخدمة.. كيف يكون الموظف زائداً على الملاك؟ وكيف تم تعيينه؟ .. وهذه سابقة اشارت اليها مفوضية النزاهة حيث الغى احد الوزراء قسما من اقسام الوزارة الحيوية بعد اكتشاف عملية اختلاس كبيرة. وبدلا من ان يقدم الوزير هؤلاء المختلسين .. قام بالغاء القسم برمته للتستر عليهم.!.

> * وكيل وزير المالية: شرعوا القانون من دون علم الدوائر المختصة ، ونحن بصدد اعداد جداول احتساب رواتب التقاعد وهي قيد الدرس.
> * المدير العام للتقاعد: لا علم لنا بسبب تأخير تطبيق القانون ولم يأخذ احد راينا في تشريعه.

صعوبات تواجه القانون

اشار كريم حمود فرج وكيل وزارة المالية الى ان تأخير تطبيق قانون التقاعد الجديد ودفعه الى حزيران ناجم عن الصعوبات التي تعرقل تنفيذه من قبل الدوائر المعنية. كما ان اصدار مثل هذا القانون يبدو انه قد وضع بطريقة غير منطقية.

اما فيما يتعلق بوزارة المالية فهناك جداول سيجري العمل بها في احتساب الرواتب وهي قيد الدرس. وان السلطات التشريعية قد اصدرت هذا القانون دون اشراك او علم وزارة المالية ولا التقاعد العامة او دائرة الضمان الاجتماعي لذا كان القانون صعب التطبيق والتنفيذ وبحاجة الى اعداد تعليمات مفصلة لتلافي الاشكال الذي رافق اعداده ليكون جاهزا للتنفيذ.

دائماً لجان للدراسة!

المدير العام لدائرة التقاعد السيد علي عويد قال لنا ان هناك لجاناً تدرس آلية تطبيق القانون الجديد وان الجمعية الوطنية عندما شرعت القانون لم تشرك دائرة التقاعد في الامر ولم يؤخذ حتى رأيها في اية فقرة من فقراته واوضح ان هناك نصوص في القانون تعطي حق الاعتراض.

وحول سؤالنا عن تاخير تطبيق القانون الى شهر حزيران بدلاً من نيسان كما كان مقرراً له اجاب السيد عويد: لا علم لنا بذلك.. نحن جهة تنفيذية فقط ولسنا اصحاب قرار.

بضعة ايام

عن رأي الدائرة القانونية في كل ما ورد من فقرات القانون رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٦ الخاص بالمتقاعدين.. اجابنا السيد جبار وحيد رئيس الدائرة القانونية.. انهم في انتظار صدور الجداول الخاصة بسلم الرواتب للدرجات الوظيفية التي شملها القانون وان ذلك يستغرق بضعة ايام..

مع جمعية رعاية المتقاعدين

كانت لجمعية رعاية المتقاعدين آراء وانتقادات وملاحظات عديدة حول القانون رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٦ اكدها امين سر الجمعية السيد ابراهيم محمد توفيق حيث قال:

اذا كانت خدمات الموظف المحال على التقاعد تقل عن (١٥) سنة خدمة تقاعدية يمنح المكافأة التقاعدية. هذه المكافأة التقاعدية فسرتها الفقرة (ثانيا) من المادة الثامنة نفسها إلا انها الحقت الغبن والحيف للمتقاعد الذي تقل خدمته عن (١٥) سنة فمثلاً إذا احيل شخص ما على التقاعد وليس لديه خدمة ١٥ سنة بل ١٤ سنة في هذه الحالة سيحرم من المكافأة.

تقاعد العائلة

ويشير السيد توفيق الى ان المادة (١٢) تحرم اهل المتوفى الاعزب حتى وان كانوا دون السن القانونية او عاجزين عن العمل وتحدثت الفقرة ١٣ عن المتوفي المتزوج فقط .. لماذا؟

صندوق التقاعد

قسم القانون المذكور المتقاعدين الى فئتين.. الاولى الموظف المحال على التقاعد بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٧ هؤلاء يأخذون التقاعد من صندوق يؤسس ويرتبط بدائرة التقاعد.. الفئة الثانية وهم المتقاعدون القدامى يستلمون رواتبهم التقاعدية من المالية.. ولم تذكر الفقرة هل هناك زيادة بالنسبة للمتقاعدين القدامى وكم تبلغ تلك الزيادة؟

للشركات العامة والجهات الاخرى المملكة للدولة الممولة ذاتيا تأسيس نظم تقاعد خاصة بها بموافقة مجلس الوزراء هذه الفقرة ستكرس الفوارق الطبيعية والاجتماعية اضافة الى الازدواجية بين قوانين الدولة وتعدد قوانين التقاعد فيها.

ويجتمع أمين سر الجمعية حديثه بوصف القانون المذكور بانه الحق الغبن بالمتقاعدين ككل. كما يطالب باسم المتقاعدين الدولة بفروقات الرواتب من تاريخ ٢٠٠٣/٤/٩ ذلك لان ما صرف خلال الفترة السابقة اي قبل صدور القانون هو منح طوارئ وليس رواتب تقاعدية.. وممكن ان تصرف تلك الفروقات على شكل سندات قرض او تقسط على الرواتب التقاعدية بنسب مئوية معينة.